تذكير العبيد بالحر الشديد والفوز بالظِّلال في يوم الوعيد

2023-07-14

الحمد لله القويّ القدير. له الخلق والتدبير. عاقب بين الليل والنهار. وغاير بين فصول العام. جعل البرد والحر. وأوجد القحط والغيث. فسبحانه من إله عزّ شأنه. وجلّ ثناؤه. يتنزّه العباد في كونه. ويتنعّمون في فصول أزمنته. التي تتقلّب بين شتاء وصيف. وبين ربيع وخريف. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. أحاط بكل شيء علماً، وكل شيء عنده بأجل مسمّى. يعطى ويمنع، ويخفض ويرفع. ويضر وينفع، لا مانع لِمَا أعطى ولا معطى لِمَا يمنع. وَأَشْهَدُ أَنَّ سيِّدنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ وَخَلِيلُهُ، وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ؛ دَلَّنَا عَلَى الْخَيْرِ لِنَأْخُذَ حَظَّنَا مِنْهُ، وَحَذَّرَنَا مِنَ الشَّرِّ لِنَبْتَعِدَ عَنْهُ؛ نُصْحًا لَنَا، وَرَحْمَةً بِنَا، وَشَفَقَةً عَلَيْنَا، اللهم اجزِه عنّا أفضل ما جزيتَ نبيّاً عن أمّته، واحشرنا تحت لوائه وفي زمرته،

يا أمّةً لنبيٍّ نورُه سطعَا * وعزّ مِقداره في المجد وارتفعَا

كم سدّ فاقةَ محتاجٍ وكم نفعاَ * هذا الذي بالهدى والدين قد صدعَا

صلّوا على المصطفى يا كلَّ مَنْ سمعَا

صلّى الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلى آله وأصحابه، صلاة تستنزل غيث الرحمة من سحابه، وتحلّ صاحبها من الرضوان أوْسع رحابه، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. نعيش هذه الأيام موعظةً بليغة ودروسًا عظيمة، يشهدها الأعمى والبصير، ويدركها الأصم والسميع، إلاّ أنها لا تُؤتي أُكلها إلاّ حين تصادف من كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد. نعيش هذه الأيام مع واعظ الصيف وشدة الحر، فهل أصغت قلوبنا لموعظته؟! وهل وعينا درسه؟! هلمّ فلنقف قليلاً مع الصيف وما يحمل من موعظ وعِبَر. فلله

الحكمة البالغة، وكل شيء عنده بمقدار؛ قال سبحانه في سورة الْبَقَرَةِ: ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)). أيّها المسلمون. إنّ في اختِلافِ اللَّيل والنّهار عِبرٌ، وفي تَقلُّبِ الزَّمان مدَّكر، وفي تلوُّن الزمان من شتاءٍ وصَيف ما يبهر المتعقّلين. ويُنبِّه المتذكّرين. ويجذِب أفئدةَ الصّادقين. إلى الدّلالات الواضِحَة. والبراهين البيّنَة. على عَظَمَة الخالق. وبديعِ الرّازق. وعلى وحدانيَّتِه وقدرته سبحانه. وقد ذكر الله لنا في كتابه صفات أولي الألباب. أيْ أصحاب العقول والأفهام النيّرة. ومنها التفكّر في خلق الله تعالى، قال الله جل وعلا في سورة آل عمران: ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)). فهذا الحر دليل من دلائل ربوبية الله تعالى، فهو الذي يقلّب الأيام والشهور، ويطوي الأعوام والدهور، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، سبحانه وتعالى. يقول في صورة القصص: ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)). فالله سبحانه ينوّع الفصول، ويبدّل الليالي والأيام، فليل ونهار، وشتاء وصيف، وربيع وخريف، فنحن نعيشُ هذه الأيام مع فصل الصيف موعظةً بليغةً، ودروسًا عظيمة، يشهدُها السميع والبصير، ويُدركها الأعمى والأصم. وفي هَذا التقلُّبِ وذلك التحوُّل بِنظامٍ دقيقٍ دلالةٌ تسوقُنا إلى شُكر الله جلّ وعلا على آلائِه وحَمدِه على نعمائه. قال تعالى في سورة الفرقان: ((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا)). فكم من الحِكم والفوائد والعِبر في هذه الأحوال المتفاوتة،

ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ففي الصيف يسخن الهواء جدا، فتنضج الثمار، وتنحل فضلات الأبدان والأخلاط التي انعقدت في الشتاء، وتفور البرودة، وتهرب إلى الأجواف، ولهذا تبرد العيون والآبار، ولا تهضم المعدة الطعام التي كانت تهضمه في الشتاء من الأطعمة الغليظة؛ لأنها كانت تهضمها بالحرارة التي سكنت في البطون، فلمّا جاء الصيف خرجت الحرارة إلى ظاهر الجسد. فسبحان الحكيم العليم. أيّها المسلمون. ومن الوقفات المهمّة في مثل هذه الأجواء: أن نعلم أنّ الحرّ ابتلاء من الله تعالى لعباده. وابن آدم ملول، قد وصفه ربه بأنه ظلوم جهول، ومن جهله عدم الرضا عن حاله، فإذا جاء الصيف تضجَّر منه، وإذا جاء الشتاء تضجَّر منه، وفي ذلك يقول الشاعر:

يتمنَّى المرءُ في الصيف الشِّتَا * فإذا جاء الشِّتَا أَنْكَرهُ

فهْوَ لا يرضَى بحالٍ واحدٍ * قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرهُ!

وهذا من طبْع البشر؛ ولكن المسلم يرضى بما قدّر الله له من خير أو شر، قال تعالى: ((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ))، أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عَجَباً لأمر المؤمن! إنَّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرا له)). ولن يُعدم المؤمن أحد هذيْن الخيريْن بشرط الرضا والشكر والصبر، ومَن حُرِمَ الصبر على ما قَدّر الله فهو المحروم. ومن الوقفات المهمّة في مثل هذه الأجواء: أن يفكّر الإنسان في إخوانه المسلمين الذين يبقون مددا من الزمن، تصهرهم حرارة الشمس، وتحرقهم حرارة الرمضاء، بلا ظل ولا مأوى. قد شُرِّدوا من أوطانهم، وأُخرجوا من ديارهم، وأَنهكتهم الحروب، ومسّهم الجوع في أقطار من العالم. إنّ لهم حق المواساة بالكسوة والطعام، والدعاء. وهذا يوجب علينا أيضا: أن نشكر الله جل وعلا الذي أطعم من جوع، وآمن من خوف. ويؤكّد علينا شُكر القلب واللسان

والجوارح، فعندنا من الأجهزة والوسائل ما ندفع به حرارة الجوّ وشدة الصيف. عوازل حرارية، وأجهزة كهربائية، ونِعَم متعدّدة، وأشربة مبرَّدة. قال تعالى في سورة النحل: ((وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)). فأين الشاكرون؟ وقال سبحانه في سورة التكاثر: ((ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)). جاء في سنن الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إنّ أوّل ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة أن يقال: ألم نصحّ لك جسمك ونروِك من الماء البارد؟)). أيّها المسلمون. إنّ حرارة الصيف الملتهبة، ولفحات السموم المحرقة؛ لأعظم نذير زائر، وأبلغ واعظ زاجر من عذاب الله، من جهنّم نار الله الموقَدة، التي تطَّلع على الأفئدة؛ ((إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى))، إنها سموم وحميم، وظل من يحموم، لا بارد ولا كريم. وإنّ شدة الحر من نَفَس جهنّم وفيْحها، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((اشتكتِ النار إلى ربها فقالتْ: يا ربِّ أكَل بعضي بعضًا، فأَذِنَ لها بنفَسَيْنِ؛ نَفَسٍ في الشتاء، ونَفَسٍ في الصيف، فهو أشدُّ ما تجدون من الحر، وأشدُّ ما تجدون من الزمهرير))، وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: ((كنّا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفَر، فأراد المؤذِّن أن يؤذِّن للظُّهر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أَبْرِدْ، ثم أراد أن يؤذِّن فقال له: أَبْرِدْ، حتى رأينا فَيْءَ التلول، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنّ شدة الحر مِنْ فَيْحِ جهنّمَ، فإذا اشتدَّ الحرُّ فأبرِدوا بالصلاة))؛ فاتقوا النارَ عباد الله ولو بشقِّ تمرةٍ، فواللهِ ما لأحدٍ بنار الدنيا من طاقة، فكيف بنار جهنم، وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((نارُكم هذه التي يُوقِد ابنُ آدم جزءٌ من سبعين جزءًا من حر جهنم، قالوا: واللهِ إن كانت لَكافية يا رسول الله، قال: فإنها فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءًا، كلها مثل حرها)). أيّها المسلمون. إنّ شدّةَ الحرِّ في فصل الصيف أبلغُ واعظٍ يذكِّر بعرصات القيامة، وأهوال الفزع والعرض الأكبر، إذا حُشر الناس إلى

ربهم ينسلون، حفاةً عُراةً غُرلًا، كما قال تعالى في سورة المعارج: ((كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ))، قد عظُم الخَطب واشتد البلاء والكرب، ودنت الشمس من رؤوس الخلائق، واشتد الحَرُّ، وعظم الزحام، وطال الموقف، وثقل الكلام، وأخرج مسلم في صحيحه عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: ((سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: تدنو الشمس يوم القيامة من الخَلْق، حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العَرَقِ، فمنهم مَنْ يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم مَنْ يكون إلى حقويه، ومنهم مَنْ يُلجِمه العرقُ إلجامًا)).

مَنْ كان حين تصيب الشمس جبهتَه * أو الغبار يخاف الشَّينَ والشعثَ

ويألَفُ الظلَّ كي تبقى بشاشتُه * فسوف يسكن يومًا راغمًا جَدَثًا

في قعرِ مُظلِمةٍ غبراءَ مُوحِشةٍ * يُطِيل في قعرها تحت الثرى لُبْثَا

تَبَلَّغِي بجهازٍ تبلغينَ به * يا نفس قبل الردى لم تُخلَقِي عبثَا

أيّها المسلمون. إنّ من أعظم ما يُدفع به العذاب. وتُتّقى به النار: الإستكثار من الحسنات. والتخفّف من السيّئات، فذاك هو الزاد، وتلك هي الجُنّة، واللهِ لَلّهُ أرحم بنا من أمّهاتنا، ولكنه يريد التائب المقبِل المنيب. لنغتنم صيفنا بالطاعات، ولنستزد فيه من الحسنات، فالأجر يعظُم مع المشقّة، حذار حذار أن تُقعدنا عن المبادرة إلى الخير، نفوسٌ تعاف الحرَّ، وتحبُ الراحة، فنندم يوم لا ينفع الندم. وإذا كان الناسُ يسألون عن أفضل العوازل الحرارية. وأفضل المكيّفات لبيوتهم. فسأخبركم عن أفضل العوازل الحرارية عن حر شمس يوم القيامة، سأذكر لكم بعض الأعمال الموجبة للإستظلال تحت ظل العرش؛ يوم لاظل إلاظله. لعلنا نسارع إليها. فالأوّل: إنظار المعسِر حتى يسدِّدَ دَيْنه، أو التخفيف من الدَّيْن عنه؛ من الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، من أَنْظَرَ مدينه المعسِر الذي

لا يستطيع السداد. أو أسقط الدَّيْن من ذمته. فقد روى الإمام مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَن أَنْظَرَ مُعْسِرًا أو وَضَعَ عنه أَظَلَّهُ الله في ظِلِّهِ)). وروى أحمد والترمذي عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَن أَنْظَرَ مُعْسِرًا أو وَضَعَ له أَظَلَّهُ الله يوم الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يوم لَا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ)). وروى الطبراني بسنَدٍ حسَن عن أبي اليُسر رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنّ أوّل مَن يستظل في ظل الله يوم القيامة لَرجلٌ أنظر معسراً أو تصدّق عنه)). وروى مسلم وأحمد عن أبي قَتَادَةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَن نَفَّسَ عن غَرِيمِهِ أو مَحَا عنه كان في ظِلِّ الْعَرْشِ يوم الْقِيَامَةِ)). أيّها المسلمون. مَن كان له دَيْن على أخيه المعسِر فليسامحه لوجه الله تعالى. أو ليؤخِّره حتى يوسر فيسدّ الدَّيْن، طمعاً في أن يكون من الذين يظلّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. والثاني: الصدقة على الفقراء والمحتاجين، فقد روى الإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم، عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رضي الله عنه يقول: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول: ((كُلُّ امْرِئٍ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ حتى يُفْصَلَ بين الناس، أو قال: يُحْكَمَ بين الناس)). قال يزيد بن أبي حبيب: فكان أبو الخير مَرثد بن أبي عبد الله الراوي عن عقبة. لا يخطئه يوم لا يتصدّق منه بشيء، ولو كعكة، ولو بَصَلَة! وفي رواية لابن خزيمةَ: أنّ مرثَد كان أوّل أهل مصر يروح إلى المسجد، قال يزيد: وما رأيتُه داخلا المسجد قط إلا وفي كُمِّه صدقة، إمّا مال، وإمّا خبز، وإمّا قمح، قال: حتى ربما رأيتُ البصَلَ يحمِلُه. قال: فأقول: يا أبا الخير، إنّ هذا يُنتِن ثيابك. فيقول: يا ابن أبي حبيب، أَمَا إنّي لم أجد في البيت شيئا أتصدّق به غيره، إنه حدّثني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ظِلُّ المؤْمِنِ يوم القيامة صدَقَتُهُ)). أيّها المسلمون. وإنّ مِنْ أَعْظَمِ الصَّدَقَاتِ صَدَقَةَ الْمَاءِ. سَوَاءً بوضع الْمبَرَّدَاتِ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ وَطُرُقِ النَّاسِ، أَوْ تَوْفِيرِ قارورات

الْمِيَاهِ الْبَارِدَةِ، وَلَا سِيَّمَا لِمَنْ يَحْتَاجُونَهُ كَالْعُمَّالِ وَالْمُتَسَوِّقِينَ وَنَحْوِهِمْ؛ فَإِنَّ صَدَقَةَ الْمَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الصَّدَقَاتِ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الذي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ((أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْجَبُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْمَاءُ))، وَفِي رِوَايَةٍ لِلطَّبَرَانِيِّ: أَنَّ سَعْدًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَلَمْ تُوصِ أَفَيَنْفَعُهَا أَنْ أَتَصَدَّقَ عَلَيْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَعَلَيْكَ بِالْمَاءِ)). وفي رواية رواها أحمد والنسائي عَنْ سعد بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ : ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا، قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟، قَالَ: سَقْيُ الْمَاءِ)). وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ((أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: الْمَاءُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى أَهْلِ النَّارِ حِينَ اسْتَغَاثُوا بِأَهْلِ الْجَنَّةِ: أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ)). قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وقال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره: سَقْيُ الْمَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ: مَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ فَعَلَيْهِ بِسَقْيِ الْمَاءِ، وَإِذَا غُفِرَتْ ذُنُوبُ الَّذِي سَقَى الْكَلْبَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِمَنْ سَقَى رَجُلًا مُؤْمِنًا مُوَحِّدًا أَوْ أَحْيَاهُ بِذَلِكَ؟!. نعم أيّها المسلمون. لقد ثبت في صحيحي البخاري ومسلم أنّ الله غفر لرجل بسقياه لكلب، وفي رواية أخرى غفر لبغيّ أيْ إمرأة زانية. من بغايا بني إسرائيل بسقياها لكلب، فكيف بمن يسقي رجلاً مؤمناً. فمن استطاع منكم أن يتبرّع بماء سبيل في مسجد أو طريق أو نحو ذلك، فلا يحرم نفسه من هذا الأجر العظيم. وإنّ من أجلّ العبادات التصدّق على الفقراء والمساكين، فالصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، فقد روى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((سَأُنَبِّئُكَ بِأَبْوَابٍ مِنَ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ. وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ)). وَالْمَاءُ الْمَبْذُولُ فِي الْمَسَاجِدِ وَالطُّرُقِ وَالْأَسْوَاقِ لَا يَتَوَرَّعُ عَنْهُ الْأَغْنِيَاءُ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي شُرْبِهِ؛ لِأَنَّهُ بَذْلٌ لِلْعَطْشَانِ، وَلَيْسَ لِلْفُقَرَاءِ، بَلِ التَّوَرُّعُ عَنْهُ مَذْمُومٌ. سُئِلَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْمَاءِ الَّذِي يُسْقَى النَّاسُ

فِي الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ، أَتَرَى الْأَغْنِيَاءَ أَنْ يَجْتَنِبُوا شُرْبَهُ؟ قَالَ: لَا؛ وَلَكِنْ يَشْرَبُونَ أَحَبُّ إِلَيَّ؛ إِنَّمَا جُعِلَ لِلْعَطْشَانِ. أيّها المسلمون. فما أعظم أن يتصدّق المسلم بالماء البارد يسقيه لإنسان يعمل في أعمال الحفر والبناء أو غيرها من تلك الأعمال الشّاقّة في شدّة حَرّ الظهيرة والشمس, قد بلغ به العطش مبلغه, فيفرح بتلك الشربة من الماء البارد, وقد يدعوا لك بعد هذه الشربة بدعوة مجابة تسعد بها في الدنيا والآخرة, صَدَقَةُ المَاءِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ، وَسَقْيُ الْعَطْشَانِ أَبْلَغُ مِنْ بَذْلِ المَالِ، سَوَاءً كَانَ الْعَطْشَانُ إِنْسَانًا أَمْ حَيَوانًا أَمْ طَائِرًا، وَهُوَ عَمَلٌ قَلِيلٌ وَلَكِنَّ نَفْعَهُ كَبِيرٌ، وَأَثَرَهُ عَظِيمٌ. وَقَدْ روى الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((إِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ)). فكَيْفَ بِمَنْ أَوْقَفَ بَرَّادَةَ مَاءٍ فِي مَسْجِدٍ أَوْ سُوقٍ أَوْ طَرِيقٍ، فَكُلُّ مَنْ مَرَّ بِهَا شَرِبَ مِنْهَا، وَيَجْرِي أَجْرُهَا مَا جَرَى مَاؤُهَا، وَاسْتَقَى النَّاسُ مِنْهَا! وَوَضْعُ المِيَاهِ لِلطُّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ الضَّالَّةِ فِيهِ أَجْرُهُ؛ لِأَنَّ فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرًا. أيّها المسلمون. إنّ أعمال الخير، وأبواب البِرّ ميسورة، وليس على العبد إلا أن يُبادِرَ للإحسان، ويُسابِق لبذْل المعروف، وفعْل الخيرات. أيّها المسلمون. فاحمدوا الله على آلائه ونعمه، واشكروه على فضله وكرمه، فهو الذي أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة؛ قال تعالى في سورة النحل: ((وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ))، وقال سبحانه في سورة إبراهيم: ((وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا))، فقد سخَّر لكم نعمة الكهرباء وأجهزة التكييف وأدوات التبريد، فاذكروا آلاء الله، واشكروه على ذلك، وإنّ مِن شُكر الله عز وجل الإقتصاد فيها والتوفير، وعدم الإسراف والتبذير، والنِّعَم إذا شُكرت قرّت، وإذا كُفرت فرّت، والله تعالى يقول في سورة إبراهيم: ((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)). ختاماً نسأل الله تعالى أن يجيرنا من النار، وأن يظلّنا تحت ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلا ظلّه. اللهم أجِرنا من النار، اللهم أجِرنا من النار، اللهم أجِرنا من النار، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهمّ إنّا نسألك اليقظة في

الأمور. والحكمة في التدبير. وحُسن العاقبة والمصير. اللهم إنّا نسألك فِعل الخيرات. وترْك المنكرات؛ اللهمّ لا تجعل الدنيا أكبر همّنا. ولا مبلغ علمنا. واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير. والموت راحة لنا من كلّ شرّ. واغفر لنا ولوالدينا. ولذوي الحقوق علينا. ولجميع المسلمين والمسلمات. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين. اهـ